٢٥

لقاء القمة..!!

أظن أن هذا اللقاء على مستوى القمة بين مصر والاتحاد السوفييتى والذي جرى في ٣٠ يونيو سنة (١٩٧٠)هو واحد من أهم اللقاءات في تاريخ العلاقات العربية السوفييتية لأن هذا الاجتماع جاء في لحظة شديدة التوتر وشديدة الحرج ومفعمة ومثقلة بالاحتمالات في ذلك الوقت. وكانت الأزمة في الشرق الأوسط وصلت إلى الذروة بمعنى أنها وصلت لمرحلة أصبحت تؤثر على الموازين بين القوتين العظمتين.. وتأثرت أيضاً موازين القوى في البحر الأبيض بعد قيام الثورة الليبية وما ترتب عليها وما تداعى منها.. الشيء الآخر أنه تم طرح مبادرة (روجرز) في هذه الفترة أيضاً ورفضت مصر ما قدم في ديسمبر (١٩٦٩) لكنها أبدت اتجاهاً لقبول المبادرة التى جاءت في ذلك الوقت..

وكانت المشكلة أنها مبادرة أمريكية في حين أن مشروع (روجرز) الأول كان نتيجة لاتصالات سوفييتية أمريكية في فترة كنا تركنا فيها الاتصالات للاتحاد السوفييتى لكى يتأكد أنه ليس هناك شيء يسمى الحل السلمى.. وجاءت بعد ذلك مبادرة (روجرز) وبدا أننا يمكن أن نقبلها أو على وشك القبول.

والأهم في اعتقادى أن عملية التصعيد على الجبهة قد بلغت درجة نطمئن عليها بمعنى أنه في مساء اليوم السابق بالضبط قد دخلت صواريخ (سام ٣) إلى الجبهة واحتلت أجزاء من حائط الصواريخ وبدأت تمارس عملها وحين جاء الإسرائيليون للاستكشاف أُسقطت عدد من طائرات الفانتوم.. ما بين ٦ و٨ طائرات.

وكان الذهاب إلى موسكو في تلك الليلة وبدء الاجتماعات في مناخ يعطى للزيارة أهمية مختلفة.. وكان هناك إحساس لكل الأطراف أن هذا هو اللقاء الأخير بين القيادة المصرية والقيادة السوفييتية قبل شيء كبير سيجرى على جبهة القتال وكل الأشياء تشير إليه.. وأنه سيمر وقت طويل للالتقاء مرة أخرى.. لأنه سيكون كل شخص في مشاغله.

وكان الاستعداد للاجتماع.. وضعنا تصورنا لما ستجرى عليه المحادثات والتصور جرى بعد مناقشات وكتبت التصور بخط يدى.. ولكن كان هناك - خارج ما تقتضيه المفاوضات- نوعان من المسائل. فنحن نعرف أن هناك مشاكل عالقة تؤثر على تصرفات القادة السوفييت حتى وإن لم يفصحوا عنها بوضوح.. فالمشاكل عالقة وهناك أسباب للالتباس ولسوء الفهم.

الشيء الآخر أنه نتيجة لعمليات الاستعداد على الجبهة والإدراك بعد مؤتمر طرابلس أن مصر ستدخل المعركة وحدها في البداية وأنها سوف تكون على الجبهة المصرية.. وقد تكون لهذا تداعيات على جبهات أخرى.. ولكن التخطيط يقتضى أن تكون مصر مستعدة لمعركة كبرى.. وحتى لو أدى الأمر أنها فيها وحدها وعليها إدراك ذلك منذ اللحظة الأولى.

فإذا لم تكن هناك عمليات في سوريا أو في غيرها على الجبهة الشرقية فمعنى هذا أن كامل قوة الطيران الإسرائيلى سوف تكون فاعلة فوق الجسور.. وفي ذلك الوقت كنا جاهزين تقريباً بتسعة جسور وهناك خمسة تصنع في المصانع الحربية.. لكن

هنـاك رغبـة في الحصـول علـى جسـور جـاهزة التصـنيع لكـى تسـتطيع أن تكـون في الخدمة.. لأن التركيز على الجسور سيكون كبيراً.

وأصبح هنـاك نوعـان مـن القضـايا.. مشـاكل عالقـة وطلبـات ملحـة.. وهنـاك ثلاثـة موضـوعات في جـدول الأعمـال.. وهنـاك موضـوعات سياسـية أصـلية وهـى موضـوعات المحادثات وموضوعات عالقة لأسباب سوء الفهم وموضوعات بها طلبات.

أول لما دخلنا للغرفة المجاورة لقاعة الاجتماعات قال الـرئيس (عبـد الناصـر) - قبـل أن يقدم الوفد المصرى حينمـا رأى (برجنيـف) إن هنـاك أخبـارٌ مهمـة علـى الجبهـة المصـرية.. وهنـاك طـائرات كـثيرة تقـع وقـال (برجنيـف) زعـيم الحـزب الشـيوعى يبـدو أن الحـرب الحقيقيـة لم تبـدأ إلا بعـد سـفر الفريـق فـوزى مـن مصـر.. فقـال الـرئيس (عبـد الناصـر) أبقيه هنا لكى تستمر الحرب.. وبعد ذلك قدم الرئيس (عبـد الناصـر) الوفـد وجـاء بعـد ذلـك دورى وقـال (جروميكـو) وزيـر الخارجيـة السـوفييتى جيـد أن يكـون (هيكـل) موجـوداً معنـا علـى مائـدة الاجتمـاع كـوزير مسـئول بحيـث لا يسـتطيع الكتابـة كمـا يريـد.. ويقـول إنـه صـحفي حـر فيمـا يكتبـه.. ونحـن سـوف نراقبـه وأى شـيء سـيكتبه سنحاسبه عليه.. وكـان (علـى صبرى) موجـودا وقـال إن الحـزب الاشـتراكى سـيراقبه.. فقلت لـ(عبد الناصر) هذا ما أخذته من الوزراة أن أراقب من جهتين.

ودخلنا لقاعة الاجتماعات وبدأت المناقشة وكان مـا يضـايق (عبـد الناصـر) أن ينتظـر ليسأله الطرف الآخر لما يريد أن يسأل فيـه.. وكـان دائمـاً يبـدأ الكـلام ويطـرح مـا قـد يسأل فيه ويتصور أن هذا يحرره من وضع سائل ومسئول.

وقـال (برجنيـف) بعـد ترحيـب أن أمامـه جـدول أعمـال مهـم وأمامنـا قضـايا قـد ترغـب الوفود في إثارتها ونريد التحدث في هذه المرة بصراحة.. وقال (عبد الناصر) له إنه سبقه لمـا يريـد أن يقولـه.. إننـا هـذه المـرة نريـد التحـدث بصـراحة لأننـا مقبلـون علـى أوقـات وظروف.. وعلى قرارات لا يجدى فيها إلا أن يكون كل طرف على علم وبينـة كاملـة بما يفكر فيه الطرف الآخر.

وأنا هنا أعتمد على ما كتبته.. وأسجل كل دخول وخروج في القاعـة وكـل ورقـة إلى درجـة أننـى أخـذت مـن المارشـيال جريتشـكوف ورقـة كـان يرسـم فيهـا.. لأننـى كنـت حريصاً بشكل أو بآخر ولازلت أنه لا بد أن تكون السجلات كاملة.

وبدأ (جمال عبد الناصر) في هذه الجلسة بالتحدث وقال إننا نعلم أن لكم عتابا علينا لأننا نصحنا ليبيا بأن تشترى طائرة ميراج فرنسية ولا تشترى الطائرات الميج.. لذلك أريد التحدث في ذلك مباشرة لأوضح لماذا اتصلنا بالليبيين.. وجعلت (هيكل) يذهب لـ(القذافي) وكان رأينا أن يشتروا ميراج بدلا من الميج وأنا أقولها بوضوح إننا نريد الليبيين أن يشتروا الميج.. ولكن بوضوح ما يقودنا هو الكفاءة العسكرية فوق ميدان القتال.. وطائراتكم مهمة للغاية ونحن نعتمد عليها بكل أنواعها ولكن نحن نلح باستمرار لقاذفة وأنتم لا تملكون قاذفة.. فضلا عن ذلك كنا نحتاج مدى للطائرات.. وقمنا بتجربة وكان معنا فيها خبراؤكم ومساعدو الجنرال كتشتكن كبير الخبراء.. لمعرفة كم طائرة ستبقى بعد عبور قناة السويس في الشرق.. فأقلعت طائرة من الجبهة وعبرت فوق قناة السويس وعبرت سيناء في اتجاه قناة السويس.. فكم تستطيع أن تبقى فوق الأهداف واكتشفنا ووجدنا وتنبهنا أن الميج تستطيع أن تبقى في الشرق ٢٥ دقيقة وأن الميراج تستطيع أن تبقى في الشرق ساعة كاملة.. وأن الفانتوم طبقاً لحساباتنا تستطيع أن تبقى ما هو أكثر من ساعة ولذلك فنحن سواء بسبب قدرة الميراج كقاذفة.

وسواء بالنسبة للمدى الذي نريده خاصة ونحن ندخل في معركة.. جزء منها هجومى.. ولهذه الأسباب ولأنه موضوع عسكرى بحت.. قررنا نصح الليبيين وطلبوا رأينا وقلنا إن يذهبوا للميراج.. وأنا أقولها بصراحة إن هذا لا يعنى عرقلة صفقاتكم ولا يعنى أننا نسيئ لسمعة سلاحكم فنحن نزكى سلاحكم حينما نربط أبناءنا للقتال به.

وأنا أعرف أنكم تضايقتم بسبب ما جرى في السودان.. وهنا نظر (عبد الناصر) لبنيماريوف لأننا لما دخلنا قاعة الاجتماعات بدت وجوه أخرى جديدة ولم يكن فقط (برجنيف) قائد الدولة.. و(كسيجين) رئيس الوزارء.. و(جروميكو) وزير الخارجية.. و(جرتشكو) وزير الدفاع.

لكن لاحظنا أيضاً أن (برمنيوف) موجود وهو المسئول العقائدى في لجنة الرئاسة.. وقال (عبد الناصر) إنه يعلم أنكم تضايقتم.. بعد ما حدث في السودان أحداث جزيرة آبا.. تصور الشيوعيون وهو حزب قوى وشرعى في السودان برئاسة عبدالخالق محجوب.. وتصور بعضهم أن ما جرى في (جزيرة أبا) من تصفية للمهدية أنها فرصة لهدم الشيوعية.. ونصحنا (النميرى) أنها ليست فرصة لاستقطاب السودان.. وأن هذا وقت

وحدة وطنية في السودان وعلى كل راغبى الاستقطاب.. أن يبتعدوا وكان (النميرى) يشتكى نشاطاً كبيراً قوياً لديه ونحن طلبنا منه أن يرسل لنا الطرفين في القاهرة.. (عبدالخالق محجوب) والصادق المهدى).. للقاهرة ونحن نتفاهم معهما.

وحينما ذهب (عبدالخالق محجوب) لمكتب (سامى شرف) قالوا له أنت في القاهرة لتخفيف التوتر في السودان ولست معتقلاً ولا مُبعداً وأنت في أى وقت تريد السفر لأوروبا الشرقية نحن سنرتب ذلك لكن لا داعى في السودان في هذا الوقت.. وقلنا لـ (الصادق المهدى) إن القاهرة ليست منفي لأحد وإنما هى مضيفة وإذا أردت أن تظل بعيداً عن السودان في اللحظة الحالية.. وإذا أردت أن تذهب لأوروبا فاختر أى مكان لك ولأسرتك.. لكن رأينا أن هذا هو الوضع الأسلم لتهيئة الظروف في السودان بعد ما جرى في جزيرة أبا.. وهذا ليس وقت استقطاب في السودان ونحن نعرف أنه أغضبكم أن أرسلنا لعبدالخالق محجوب ثم تركناه ليسافر لأوروبا الشرقية إذا أراد والموقف السودانى لا يحتمل حرباً أهلية والأجواء متوترة.. وأعرف بتأثركم.

وأنا أعلم بشكل أو بآخر أن هناك من غضب حينما سألنى جنرال كتشجن في آخر مرة كنت فيها هنا عما إذا كان الخبراء السوفييت يرتدون بدلا عسكرية في أثناء وجودهم في مصر وأنا رفضت وأنا أعرف أن الضباط الموجودين في الخدمة ونقدر خدماتهم يشعرون كما لو كانوا مرتزقة لأنهم يضطرون أن يرتدوا مثل العمال ويشعرون مع غياب زيهم ورتبهم العسكرية أنهم ليسوا جنودا.. وأن هذا يقلقهم ويجرح كبرياء العسكرى الروسى.. وأريد أن أقول بوضوح أننا من أكثر الناس الحريصين على كبرياء أى عسكرى روسى.. والعسكرية الروسية بالنسبة لنا نحترمها جداً.. وإذا نحن لا نستطيع أن نقبله لأسباب نفسية.. وهناك مسألة أخرى هى لو ارتدى هؤلاء الخبراء ملابس عسكرية وهم يؤدون مهاما كأن هذا قتال رسمى للقوات السوفييتية ونحن لا نريد أن نعرضكم لهذا ونريد أن يكون الضباط خبراء أكثر للمقاتلين.. ولا أريد خبيرا يرتدى زيه العسكرى لكن خبيرا عقله جاهز.

الشيء الآخر أننى أعلم أنكم متضايقون من بعض ما يجرى في ليبيا ومن كلام قاله (القذافي) لأنه نقل إليهم تصريحات لـ(القذافي) وتصريحاته عادة بعضها جامح وبعضها أصبحت جزءا من شخصيته يقوم بهذا الدور ولا أتحمس لهذا الجزء وليس لدى اعتراض في نفس الوقت.. ولكن وقتها قال (القذافي) إنه لا فرق بين (كيسنجر) و(كوسيجن)..

والإثنان مثل بعضهما.. والتصرفات مثل بعض.. وحاول (كوسجين) أن يحسب دخل الليبيين لأن كم البترول الموجود بهذه الثروة على البحر الأبيض مستولى على خيال (كوسيجين) وغيره.. وقال إن هناك برجوازية تعمل.. فقال (عبد الناصر) أرجوك ألا تُطبق على ليبيا.. ولا (القذافي).. ولا تقول طبقة برجوازية فالمجتمع هناك مازال قبلياً.. وأنت تتحدث عن بلد به مليونا نسمة.. وهو بلد يخرج للعصر الحديث لأول مرة.. وروابطه القبلية موجودة.. ولا تضعوه ولا تصنفوه طبقياً بهذه الطريقة.. وأرجوك أن تعرف أن هؤلاء الشباب سنهم ما بين ٢٥ : ٣٥ تقريباً.. وهم القادمون.. وقاموا بثورة قد تكون مستحيلة نظرياً.. وهم أنفسهم كانوا يقولون إن نسبة النجاح فيها واحد في المليون ونجحت.. وأدى هذا النجاح لتغييرات كبيرة لكن أرجوك أن تعرف أن الشباب القائمين بها يحتاجون لوقت كبير للتعلم وأظنهم سيتعلمون ولا بد أن نعطيهم الوقت.

وكانت قاذفتنا وجزء منها موجودة في المطارات الليبية في مأمن لأنه جزء مهم جداً ونحن حريصون عليه.. ونحن متصورون أنكم لا تأخذون ما على السطح بهذه الطريقة.. أما عن من يهاجمونكم في مصر فهم أيضاً يهاجموننا والمجتمع المصرى مجتمع مختلف فالترابط العائلى فيه لايزال الجزء المؤثر والفاعل ولكن هناك طبقات انطبقت عليها قوانين الاشتراكية ولا نستطيع إلا أن نفهم موقفها ولا بد أن نفهم موقفها.. فلما يجلسون معنا أو يهاجموننا هذا طبيعى وهذا حقهم.. ولا أستطيع أن أخذ كل شخص يهاجم النظام أو يهاجمكم لأننا أخذنا شيئاً من أملاكه فلا أستطيع أن أضعه في السجن ولا بد أن نقبل قدرا كبيرا جداً من النقد وأن هذا النقد ممكن أن يكون موجها لكم.. لكن أرجوكم أن تفهموا أن هذا النقد موجه بالدرجة الأولى للنظام وعلينا أن نقبله.

وحدث في هذه اللحظة شيء يمسنى مباشرة.. فأثناء حديث (عبد الناصر) كنت مستغرقا في الكتابه بحيث لا يفوتنى شيء.. وفجأة وجدت (برجنيف) يذكر اسمى وكان بجوارى السفير مراد غالب وكان يكتب المحضر الرسمى للجلسة وأنا كنت أكتب الملاحظات وأرى ما الذي يجرى وما الذي يحدث.. بما فيها واقعة أعتقد أنها مهمة.. منها ورقة من (برجنيف) أعطاها لمدجرنى وبعدما قرأها أعطاها لجراشكوف.. وبعد ذلك يأتى شخص من الخارج لـ(برجنيف) وطلب (برجنيف) قلما أحمر ووقع على هذه الورقة.. وكل هذا أوقف الجلسة لثوان.. فشعروا أننا نحتاج لإيضاح.. فقالوا إنه

جاءت لهم معلومات أن هناك محاولة انقلاب في الصومال وأننا اتفقنا على إرسال رسالة تحذير للرئيس الصومالى.

وبعد ذلك ذكر (برجنيف) اسمى فسألت مراد غالب عما يقوله.. فرد مترجم سرجيه أننا نطلب منهم أن يتغاضوا عن بعض ما يحدث للخبراء وألا يرتدوا زيهم الرسمى.. وأن الشعب المصرى لا يبدو أنه يريد خبراء من عندنا.. فقال (جمال عبد الناصر) من أين تقول إن الشعب المصرى لا يريد خبراء من عندكم.. فقال له إننا سمعنا أن الخبراء يتدخلون في شئونكم.. فرد (عبد الناصر) أنهم إذا تدخلوا من خارج الوظيفة فسأكون أول واحد يطلب وضعهم على مركب في إسكندرية ويأتون لكم على ميناء أوديسا.

ولم يعجب (برجنيف) رد (عبد الناصر).. وقال إن (هيكل) يعرف ولديه معلومات لدى وزارته أن الخبراء السوفييت مكروهون في مصر.. والمصريون لا يريدونهم.. فتدخلت في الكلام وقلت له السيد الرئيس يقول هذا الكلام على أى أساس.. فقال: أنت في وزارتك قمت باستقصاء لكى تعرف مدى قبول الشعب المصرى للخبراء السوفييت وتوصلتم إلى تقرير رسمى كتبتوه أن الشعب المصرى يرفض وجودهم.. فنظر لى الرئيس (عبد الناصر) وسألنى عن حقيقة هذا الكلام فقلت له لا أساس له من الصحة وقلت لـ(برجنيف) ذلك وقلت له ليس هناك فيما أعلم أى شيء ومع ذلك فبعد الجلسة سوف أتقصى ما إذا كان هذا الكلام له أساس.. وأنا أؤكد لك أن هذا الكلام صعب جداً.

واستمرت الجلسة وجدول الأعمال بعد ذلك والكلام الذي به حساسيات تقريباً قد انتهى وأعطى الرئيس الكلمة لـ(محمود رياض) وزير الخارجية.. بعد جزء المصارحة والذي كانوا يستمعون إليه باهتمام وربما أدهشهم أن كل المسائل التى ربما تجول في أذهانهم وتخلق بعض الشكوك أنها طرحت بهذه الطريقة في نفس اللحظة والكلام كان فيها.. وكانت معظم الأسئلة التى سألوها غريبة نتيجة اهتمامهم بليبيا في ذلك الوقت.. وتحدث (عبد الناصر) عن المزايدات التى حدثت في مؤتمر طرابلس وقال إنه لا يوجد ما يسمى بإزالة آثار العدوان ولكن هناك ما يسمى بتحرير الأرض كاملة سواء في (٦٧) أو (٤٨) وتدمير إسرائيل.. وكان يرى (عبد الناصر) أن هذا الكلام صعب وأنه يريد فقط كسر عمود خرسانة رئيس في هذا البناء الإسرائيلى وسوف يقع.. وأن

المواجهه الكاملة إذا كان الهدف منها إزالة إسرائيل فنحن نتحدث عما ليس لنا قبل به في هذه المرحلة.

وقال (عبد الناصر) إنه يقبل مبادرة (روجرز) لأن عليها بالتحديد علم أمريكى.. لأن العلاقات بين أمريكا وإسرائيل في هذه اللحظة وفي هذا التوتر العالمى تعطى فرصة لعمل.. والدليل على هذا أن الوزارة الائتلافية في إسرائيل على وشك أن تنكسر وهنا مناخ يدعونا إلى قبول مخاطرة من أى نوع وعلى أى حال فهى جزء مما يمكن أن نتصرف في إطاره وتحته.. إلى ما هو أبعد منه وأوسع.. وكان في ذهنه العمل العسكرى القادم بعد أن صدق على عملية الجرانيت قبل سفره لموسكو.

وانتهى (عبد الناصر) من الموقف السياسى.. وكان السوفييت مذهولين أنه على الجبهة المصرية سقطت ٨ طائرات فانتوم في نفس يوم حضورنا لموسكو.. وأنه وقت وصولنا أرسل الفريق صادق للفريق فوزى يقول له فيها إن الطيارين تم أسرهم جميعاً فيما عدا واحد قتل.

وكان ظاهرٌ أن الموقف العسكرى به قدرات جديدة وأن الصواريخ الجديدة توحى بأن هناك شيئاً جاريا.. أما موضوع جسور العبور فقد استغرق وقتا طويلا وهو الأمر الذي دعا إلى كلام على الجبهة الشرقية.. وقال (برجنيف) إنه أولى بدلاً من أن تطلبوا جسور عبور أكثر لأنكم تتوقعون تركيزاً في الطيران الإسرائيلى أكثر عندكم إذا كنتم منفردين بالعمل.. فيبقى العمل من سوريا.

وكانت وجهة نظر (عبد الناصر) أنه من سوء الحظ أنه يوجد خلافات سياسية بين الأحزاب والخلافات في العالم العربى لم تعد بين تقليدى وجديد.. لكن هناك تقليديا مرتكزا على أفكار تقليدية لكن هناك إسلاميا مرتكزا على فكرة الدين.. لكن في الجديد.. هناك بعثيون وشيوعيون وقوميون ومستقلون.

وكان (عبد الناصر) يقول إن الظرف السياسى قد لا يسمح باتفاق مسبق على خطط محددة لكنه يعتقد أنه إذا بدأت الجبهة المصرية تزيد ضغوطا شديدة جداً على الأنظمة بما يجعلها قادرة على الانخراط بشكل ما في مرحلة من مراحل الصراع المسلح القادم.. لكن هو على أى حال جرب بقدر ما يستطيع أن تكون هناك خطط كاملة متسقة ومتناسقة.. وكان لسوء الحظ لكى يتفق على خطة أن ينتظر شيئين أن (جمال عبد الناصر) بكل الجو الأسطورى الذي حوله أن يبتعد ويختفي وأن يأتى أحد آخر

يمكن أسهل أن يطمئن أطراف وحلفاء آخرين من العالم العربى لأنهم يتعاملون مع بشر عاديين وليس مع أساطير يخافون أن يبتلعهم أضواؤها ومجدها إلى آخره.

وكان الذي فتح الموضوع مع السوفييت هو جسور العبور. وبدأ الفريق فوزى يحاول يشرح وكان الفريق فوزى لديه مشكلة لأنه كان يريد التخلص من كبير المستشارين الذي كان عنده وهو (كتشكن).. وجاء لى جواب بعد أن غادرت لأننى لم أكمل المحادثات وظلوا ١٥ يوماً وكان (عبد الناصر) يكمل الاستشفاء.. ووجدت فوزى يتحدث عن أنه يريد أن يتخلص من (كتشكن) "البايخ".. وبدت لى هذه الكلمة غريبة من القائد العام للقوات المسلحة.. وتحدث فوزى عن الطلبات وكان في ذلك الوقت تأتى لنا تقارير كثيرة جداً من الضباط من موسكو الذين يدرسوا وجاءت تقارير عن صاروخ (سام ٦) فبعضهم قرأ عنه وبعضهم سمع عنه وكانوا مبهورين بـ (سام ٦) فهو قادر على الطيران المنخفض وميزته أنه متحرك ومركب على مدرعات وهو قادر على أن يطلق نيرانه وهو يتحرك.

وكان رأى العسكريين المصريين أن حائط الصواريخ سيكون ثابتا سواء (سام ٢)الذي كان موجودا في الأول أو (سام ٣).. وكانوا يتصورن أن حائط الصواريخ الثابت يخدمه جداً أن يكون أمامه مدد أو طلائع من سام (٦) المتحرك خاصةً حينما تعبر القوات من الناحية الأخرى وتواجه طيرانا قريبا منها قد لا يطوله الطيران المنخفض الموجود في الخلف.. والاعتماد على الصورايخ المحمولة باليد وشباب المؤهلات الذين كانوا رائعين.

وانتهت الجلسة الأولى ولكن كانت هناك مسألة معلقة علىّ أنا بالذات أول لما انتهت الجلسة اجتمع الرئيس و(على صبرى) و(محمود رياض) وأنا.. وكان الفريق فوزى مشغولاً مع جرتشكوف وبعد ذلك قال لى الرئيس: ما موضوع الخبراء.. فقلت له: أنا سأخرج حالاً لأتصل بمكتبى وفي الفترة اتصلت بالدكتور (عبدالملك عودة)) وكان مدير مكتبى في الأهرام وكان معى في وزارة الإرشاد القومى في ذلك الوقت.. وقلت له أريد تحقيقا عن هذا الموضوع.. وقال لى عبدالملك إنه ليس لديه أى علم بأى شيء من هذا النوع.. وقال لى إنه سيتحقق ويتصل بى.

وأنا داخل في الجلسة وجدت (جريتشكوف) يقول لى إنه يريد أخذ الورقة التى كان يرسم فيها.. فقال لى يبدو أنك لديك مشكلة فقلت له إن مشكلتى سأحلها لكن

مشكلتك تحتاج لطبيب نفسى لأننى أريد الخبراء النفسيين أن يعرفوا فيمَ كنت تفكر؟.. فقال له (برجنيف): إن (هيكل) لا يريد أن ينسى أنه صحفي فسألنى (برجنيف) ألا تريد أن تنسى أنك صحفي فقلت له لا أريد أن أتذكر إلا أننى صحفي.

❖❖❖

طلبات موسكو

كانت اجتماعات القمة التى عقدت في موسكو ٣٠ يونيو سنة (١٩٧٠)بين (عبد الناصر) والسوفييت واحدة من أهم الاجتماعات في تاريخ العلاقات المصرية السوفييتية ذلك لأنها جاءت في مرحلة يتوجب فيها تدعيم علاقات كانت على وشك أن تدخل اختبارات بالنيران.. في ظروف حرب لا أحد يعلم متى ستبدأ بالتحديد. لكن (عبد الناصر) كان قد وقع خطة العمليات "جرانيت واحد" قبل سفره إلى موسكو.

وكانت الطلبات في موسكو كثيرة.. وذات طبيعة خاصة لأنها كلها كانت تتصل بالطيران وبالدفاع الجوى والحرب الإلكترونية وبالتشويش وبكسر الشفرات.. ويكفي أن أقول إنه مع نهاية هذه الاجتماعات كان حجم ما تم الاتفاق عليه يساوى ٦٦٠ مليون روبيل أى ٦٦٠ مليون دولار وبأسعار اليوم تقريباً كانت تصل هذه الصفقة في حدود ٣ بلايين دولار كلها دفعناها ببضائع مصرية ليس بينها القطن وجزء كبير جداً لم ندفعه وأعفينا منه في ظروف لاحقة.

وكان التوقيت الذي تجرى فيه الاجتماعات منتهى الأهمية والظروف في منتهى الحساسية والنتائج.. التى ترتبت عليها عمليا وسياسيا كان لابد من التأكد باستمرار أنها في طريق محدد ومتفق عليه وواضح لأنه في ظروف معركة قادمة يعد لها لا تحتمل أى خلافات.

في الجلسة الأولى أثار (برجنيف) المشكلة.. التى أشرت إليها في الحلقة السابقة.. والتى تعلقت بوزراة الإرشاد.. وكنتُ وزيراً لها في ذلك الوقت.. وكنا اتفقنا في البداية على أن يكون العمل ليوم واحد في جلستين: صباحية مسائية.. على أن يذهب (عبد الناصر) اليوم التالى ليجرى فحوصات طبية في مصحة دال بيقة.. وكان الرئيس (برجنيف) نفسه في إجازة صحية.. وهم عادة يقضون إجازاتهم في مصحات.. وجاء

لمباحثات موسكو واتفق على أن يكون يوم ٣٠ يونيو يوم عمل مكثفا.. على أن يذهب كل شخص في اليوم التالى للمصحة التى سيذهب لها.

أهمية الموضوعات المطروحة جعلت العمل في ذلك اليوم متعبا للغاية.. وكانت المشكلة الأكبر بالنسبة لـ(برجنيف) حينما أثار موضوع وزارة الإرشاد.. وقال لـ(عبد الناصر): كيف تطلبون خبراء ونحن نعلم أن الشعب المصرى قد لا يكون مؤيداً لهذا؟ ثم أشار باتجاهى وهو يقول: إن السيد (هيكل) يعرف ذلك .

ولما استوضحنى الرئيس (عبد الناصر) حول الموضوع قال (برجنيف) إن وزارة الإرشاد القومى أجرت استفتاء على شريحة كبيرة من الرأى العام المصرى.. أظهر أن ٧٥٪ من المثقفين لا يريدون الخبراء الروس. وسألنى (عبد الناصر) حول حقيقة هذا الموضوع.. فاستأذنت لأتصل بمكتبى في القاهرة وأفهم منهم.

كنت أشعر بحساسية المفاوضات في هذه اللحظة.. فنحن نطلب خبراء ونطلب زيادة التسليح.. ونحن مقبلون على معركة أنا أعلم أن قرار بشأن عملية جرانيت واحد تم توقيعه.خرجت من قاعة الاجتماعات لمكتب ملاصق.. واتصلت بصديقى.. والقائم على أعمال مكتبى في نفس الوقت.. الدكتور (عبدالملك عودة)) وسألته عن الموضوع.. كان يبدو مندهشا.. وقال لى إنه سيتقصى ويعاود الاتصال.. ونظراً لسخونة الموضوع لم نتفق كيف سيحدثنى مرة أخرى.

بعد الانتهاء من الجلسة جاءت لى ورقة من السفارة المصرية في موسكو بأن مكتبى في القاهرة سأل عنى.. وأنهم سيعاودون الاتصال في الثانية والنصف.. فقلت لـ(عبد الناصر) إننى سأذهب للسفارة وأتصل بمكتبى وإنهم سيبلغونى بنتيجة شيء ما.. وبالفعل دخلت السفارة قبل الموعد ووجدت الدكتور (عبدالملك عودة)) يحدثنى.

الموضوع كان غريباً للغاية.. لأننى كنت أحاول أعيد تنظيم وزارة الإرشاد القومى وكان رأيى يتجه لحلها.. لأنها بلا معنى.. وأن تتحول الإذاعة والتليفزيون لمؤسسة مستقلة مثل نظام الـ (B.B.C) وتكون تابعة لمجلس الأمة.. وتقدم تقريرها السنوى إليه.. واخترت الدكتور مصطفي خليل ليكون مسئولاً عنها.

وكنت أرى أن مصلحة الاستعلامات لا لزوم لها.. فيكفي أن أقول إنه كانت هناك مكاتب لمصلحة الاستعلامات في الخارج ومكاتب أخرى لوكالة أنباء الشرق الأوسط ومكاتب صحفية ثالثة في السفارات. ومعنى ذلك أنه كانت هناك ثلاثة تقارير يومية

تستقى أخبارها من مصدر واحد: هو الصحف.. أى أنها تكرر نفسها.. وكنت أعتقد أن هذا إهدار للموارد.. بالإضافة إلى أن مكاتب الاستعلامات في الداخل مشغولة بتقديم تقارير للوزارة عن اتجاهات الرأى العام يومياً.. وأعتقد أنه ليس منطقيا ولا معقولا أن تقاس اتجاهات الرأى العام بشكل يومى.. ولذلك طلبت إنشاء لجنة لتقييم عمل مكاتب الاستعلامات في الداخل.

وحكى لى (عبدالملك عودة)) أصل ما تحدث فيه بريجنيف في الكرملين. فما حدث أن اثنين من هيئة المستشارين في مكتبى.. وهما الأستاذ تحسين بشر.. والذي اشتهر فيما بعد كمتحدث رسمى باسم (السادات).. والدكتور عبدالوهاب المسيرى.. ذهبا لكفر الزيات.. والتقوا هناك بمدير مكتب الاستعلامات.. وسألوه عن طريقة إعداد تقارير الرأى العام.. فأخبرهم الرجل أن موظفي المكتب يذهبون للمقاهى أو مواقع العمل بشكل عشوائى.. ويتحدثون مع الناس في القضايا المثارة على سطح الأحداث.

وسأله الدكتور المسيرى عن طريقة تحديد الموضوعات.. التى يناقشون فيها الناس.. فقال له مدير مكتب الاستعلامات في كفر الزيات أنه يسمع الدعايات المضادة على راديو لندن أو صوت أمريكا.. ومن خلالها يحددون القضايا المثارة.. ويسألون فيها الرأى العام.. إلى جانب بعض المشاكل أو القضايا الداخلية أو توافر الخدمات.

وتدخل تحسين بشير في المناقشة - طبقاً لما رواه لى (عبدالملك عودة) - وسأله عن الموضوعات.. التى يستقصون آراء الناس فيها.. فقال إنهم سألوا في موضوع الخبراء السوفييت بعد أن سمعوا نقاشاً طويلاً على راديو لندن حول الموضوع.. وقال الرجل إنهم وجدوا الناس منقسمين بين الموافقة والرفض.

أنهيت مكالمتى مع (عبدالملك عودة) .. وطلبت أن أتحدث للدكتور (أسامة الباز) .. ثم تحدثت معه هيئة المستشارين جميعاً.. وأثناء عودتى من السفارة المصرية إلى الكرملين.. وطوال ثلث الساعة كنت أفكر: كيف انتقل هذا الموضوع بهذه السرعة من كفر الزيات إلى الكريملين؟.. لأجده بعد ١٥ يوماً فقط يتفجر كلغم في جلسة محادثات على هذا المستوى.. وعندما عدت وجدت الرئيس (عبد الناصر) يتمشى بين ثلاثة أجراس من الحديد في فناء الكرملن.. صنعها بطرس الأكبر الامبراطور الروسى الشهير.. من مدافع خصومه في معارك مختلفة.. وسألنى عن الموضوع فقلت له كل شيء.

فيما بعد عرفنا أن مدير مكتب الاستعلامات تحدث مع إحدى وحدات الاتحاد الاشتراكى في ذلك الوقت ثم إذا بالموضوع يصل لأحد أعضاء التنظيم وعضو في إحدى النقابات.. ثم وصل إلى مندوب لوكالة أنباء تاس.

جاء ميعاد الاجتماع الثانى الساعة الثالثة والنصف وطلب منى (عبد الناصر) أن أشرح الحكاية.. وحينها تدخل (برجنيف) قبل أن أتحدث وقال إنه اطلع على هذه المعلومة في تقرير ليس للنشر من وكالة تاس.. فشرحت ما حدث في منتهى الهدوء.. فقد بدا لى أن وقت قمة بهذا المستوى لا يمكن أن يضيع في مناقشة أمر بهذا الحجم.. لكن أحيانا تتولد بذور جنينية لقضايا وخلافات قد تكون موجودة بالفعل محليا لكن يتجاوز البعض في طريقة عرضها.. وعلى أى حال شرحت الموضوع.

وقال (برجنيف) إنه يريد لهذه المهمة تنتهى بكل وسيلة.. وأن نحقق ما نريده لأنه يريد أن يخرج رجاله ويبعد عن هذا الموضوع.. ولا يريد أحد أن يتهمهم بـ"الاستعمار الروسى". ورد (عبد الناصر) بأنه يعتز بوطنيته.. وقال: أنا لو وجدت شبهة استعمار فيما تقومون به لكنت أول من يتصدى لهذا.. ولا كنت طلبته أو تناقشت فيه".. فقال (برمانيوف) إن المسائل بها التباس لأن الوزير (هيكل) يحب الأمريكان.. فسأله (عبد الناصر): كيف يحب (هيكل) الأمريكان.. فقال المترجم الذي يرد عن (برمانيوف) هو يريد صداقة الأمريكان.. فقال (عبد الناصر) وأنتم تريدون صداقة الأمريكان.

وقال (عبد الناصر): أريد أن أكون واضحاً فأنا لست عدواً للأمريكان ولا (هيكل) عدو للأمريكان ولا أنتم أيضاً.. فيما يتعلق بنا فنحن نقاوم شيئين عند الأمريكان: انحيازهم لإسرائيل.. ورغبتهم في السيطرة.. وهاتان النقطتان هما مبعث الخلاف.. وقال (عبد الناصر) إن حكاية مصادقتى للأمريكان كلام غير معقول .

وحينها بدأ الروس في الاعتذار.. وقال (عبد الناصر): أنكم لا تعرفون المجتمع المصرى.. ولابد أن تفهموا أولاً أن الغرب موجود في المنطقة مبكراً جداً.. فنحن لما بدأنا التعلم في المدارس كانت اللغة الانجليزية هى اللغة الثانية بعد العربية.. وهناك مواد كانت تدرس بالإنجليزية.. ونحن مصادرنا للمعرفة مفتوحة على الغرب أكثر من انفتاحها على أحد آخر.. وأنا حين كنت أدرس أركان حرب كانت تدرس لنا الاستراتيجى باللغة الانجليزية.. وهناك بعض الكليات تدرس موادها بالإنجليزية.. مثل كلية الطب.

وأكمل (عبد الناصر): أرجوكم أن تعرفوا وضع العالم العربى باستمرار لأن العالم العربى هو دائرتنا الكبرى وهو مفتوح ولا ولاية للدولة المصرية عليه ولا تستطيع أن تصله.. ولكن نستطيع أن نصل إليه بالنموذج.. ونصل إليه بالاتصال والخطاب.. ولابد أن نعطى لكم أهمية كبيرة لأن هذا سيؤدى إلى قدر كبير من الانفتاح مع الزمن.

وأظن أن الأمور وقتها اتضحت وقال (برجنيف) أظن أننا نتفهم هذا الأمر.. ووجهوا لى كلمة رقيقة.. ثم ودخلنا في عرض الطلبات.. وكان أصعبها طلب الفريق فوزى نقل كبير الخبراء.. الذي كان يطلق عليه "البايخ".. وقد حاولوا بالتطبيق العملى بالاستجابة للطلبات.. ورتبوا تدريبات عملية للدفاع الجوى.. وطلبوا من الفريق (محمد على فهمى) قائد الدفاع الجوى أن يحضر بعض هذه التدريبات فقد كانوا يعتقدون أننا قد نستفيد منها.. وطلبوا أن يحضر القادة المصريين.. وبالفعل كان هناك قدر من التعاون.

وفي اليوم التالى وقبل رحيلى من موسكو ذهبت لـ(عبد الناصر).. وكان سيذهب إلى بربيخا.. وكان (برجنيف) سيذهب لمكان الاستشفاء.. على أن يعودوا للمقابلة بعد عشرة أيام.. وقرر (على صبرى) أن يذهب مع (عبد الناصر) لبربيخا لأنه كان لديه مشاكل في القلب ويريد أن يقوم بعملية فحص طبى والفريق فوزى سيظل ليقوم ببعض المحادثات مع القادة السوفييت حول الجانب العسكرى.. ولديه اجتماعات محددة مع جرتيشكوف.. وكان (محمود رياض) لديه ظرف يقتضيه ليعود للقاهرة.. فذهبت لـ(عبد الناصر) في جناحه وتناولت الإفطار معه وقال: لى أرجو ألا تكون متضايقا وقلت له طبيعى إن صحفيا في الوزارة سيقوم بمشكلات.. استأذنته أن أعود للقاهرة.. وهنا جاء الفريق فوزى وطلب منى أن آخذ معى مجموعة ورق أسلمها للفريق صادق.. وكانت عبارة عن مراسلات رأيتها فيما بعد.

وكتب الفريق فوزى رسالة للفريق صادق قال فيها:

"عزيزى الأخ صادق أهديك سلامى وأبعث تحياتى لكل أفراد القوات المسلحة بداية الرحلة والمفاوضات مشجعة للغاية.. وقد أنهى الرئيس جمال كلامه عن كل الناحية السياسية والأوضاع في مصر والعالم العربى بصفة خاصة في ليبيا وكان الاهتمام باديا من الجانب السوفييتى والقيادة جميعاً.. وكانت ليبيا في ذلك الوقت ونتيجة للتغير.. الذي حدث في الإستراتيجية نتيجة الثورة الليبية.. وكان لها عامل كبير جداً في ذلك الوقت وبدا يتحدث عن الطيران.. وقال أننى أنهيت مقابلتى مع (جرشكو وزخاروف

وباتسكى) وقائد الطيران ود(جايف) وقد أحاول في هذه الجلسة تقديم الطلبات بأسلوب أحرج (كتشكن) كثيراً.. والطلبات كلها مقبولة في الغالب.. ويقول إن الفريق فوزى كان له أسلوب في عرض الموضوعات.. وفتحنا موضوع الذخيرة واستعجب (برجنيف).. وقال جريتشكو بالروسى وقال مراد غالب إنها شتيمة وتريقة وعشان كده أقول إن القرار سوف يجيئ لصالحنا".. وهى استنتاجات سياسية للفريق فوزى وهى في بعض الأحيان تكون غريبة.

وهنا برقية أرسلها فوزى لصادق يرجو فيها الأستاذ (سامى شرف) أن يطلع على الخطابات بصفة مستمرة.. وهنا جواب تحدث فيه فوزى عن عدم ظهور خبر نقل البايخ (كتشكن) خاصةً بعد أن شرح السيد الرئيس لسكرتير اللجنة المركزية موقفه المخادع في مصر وتقاريره الخاطئة.. وكان (كتشكن) دائماً لديه ملاحظات على التدريب.. وكان يتصور أن عمليات التدريب لا بد أن تتم ليلاً ونهاراً.. ودائماً نحن نضيق من خبراء الخارج وقد تكون خبرة مغرضة.. وعلى أى حال عدنا إلى القاهرة.. وتقصيت موضوع مكاتب الاستعلامات وثبت أن كل ما قلته صحيح.

انتهت زيارة موسكو بعد الجلسة الثانية التى لم أحضرها ولم يحضرها (برجنيف) نظرا لحالته الصحية وجاء (كوسيجين) .. وكانت جلسة تقريباً غير رسمية ولم يكن هناك داعٍ لأذهب وعلى أى حال لم يكن حضورى مهما.. لأنها كانت جلسة مخصصة للنواحى العسكرية.. وأنهم سيردوا على طلباتنا وقد ردوا.. وأظن أنهم ردوا بطريقة كانت مرضية جداً.. فقد استجابوا تقريباً لـ٨٠٪ من الطلبات.. ووصلت قيمة الصفقة إلى ٦٦٠ مليون روبيل وهذا رقم مهول.

ولما عدنا للقاهرة قابلت الرئيس (عبد الناصر).. وكان ينوى قبول مبادرة (روجرز).. وكان سيلقى كلمة الاحتفال بـ٢٣ يوليو.. وسيتحدث عن قبولنا للمبادرة.. ويعرض أسباب ذلك.

وحاولت مقابلته لمعرفة هل أثاروا موضوع مكتب الاستعلامات مرة أخرى لأننى كنت أعتقد طول الوقت أن الموضوع انتهى.. وأستغرب كيف ذلك.. وكان ما يقلقنا أن دلالاته في الخلل الداخلى الموجود لدينا.. كما أنه كان هناك موضوع إضافي.. وهو ما الذي سيقوله (عبد الناصر) في ٢٣ يوليو لأنه أن يعلن موضوع قبول مبادرة (روجرز) قد يبدو لأول مرة أنه مخالف مع الاتجاه العام للسياسات بمعنى أن كل سياسة لها مواقفها

والمجرى العام التى تندفع فيه.. وهو ما أوقع (السادات) في مشكلة رفضه لمبادرة (روجرز) دون أن يعرف التفاصيل ولا يعرف ما هو الاتجاه وما هى القضية لكن قاس على اتجاه المجرى العام.. ولكن هناك فرقا بين المجرى العام والحركة في المجرى العام لأنه في بعض المرات تأتى رياح أخرى تأخذ تيارا إلى اتجاه يبدو عكسياً لاتجاه المجرى العام.. وهنا قضية كبيرة جداً ستعرض على الرأى العام و(جمال عبد الناصر).

وعندما ذهبت له كنت أود معرفة آخر ما حدث في موسكو ولكى أقول له إننى تأكدت من صحة المعلومات.. التى تحدثت فيها في الكرملين.. ذهبت للرئيس (جمال عبد الناصر) لكنه فاجأنى بشيء آخر.

بدأت بالتحدث.. لكنى وجدته يقول لى إنه يعاتبنى أنه أثناء سفره جاءت لى ورقة تعليمات وعادة لما تأتى تعليمات من مكتب الرئيس يرسلون تعليمات من السيد (سامى شرف) .. من المكتب الرئيسى.. وقالت تعليمات سيادة الرئيس في موسكو إنه يكلف (محمد حسنين هيكل) للسفر لطرابلس لمقابلة الرئيس (القذافى).. ويبلغه رساله من السيد الرئيس.. وأننا لا نريد أى مشاكل معهم بسبب الوحدة.. وقام السيد (محمد حسنين هيكل) بإبلاغ العقيد (القذافى) البرقية الملتقطة وإطلاع باقى مجلس قيادة الثورة في الجمهورية العربية الليبية عند عودته للقاهرة.. ويمر على (مصطفي الخروبى) في بنى غازى ليطلعه على البرقية.. ويتم هذا قبل وصول البعثة العراقية في طرابلس.

وما حدث أن أجهزة الالتقاط التقطت برقية من وزارة الخارجية العراقية آتية لها من السفارة العراقية لطرابلس.. وتقول السيد رئيس الجمهورية العراقية من قطرى قدورى وزير الاقتصاد العراقى.. يقول: (أعلمنى عمر المحيشى) وكان رائداً وعضوا في مجلس قيادة الثورة" إن اجتماعات (القذافى) و(عبد الناصر) والأتاسى أسفرت عن لجنة لهذه الدول الثلاث تجتمع خلال أسبوعين لبحث صيغة وكيفية إقامة وحدة بين الدول الثلاث.. وطلب منى (عمر المحيشى) إعلام الحكومة العراقية والنظر بتحديد مشروع الوحدة هذا وفهمت أن (عمر المحيشى) ينادى بعرض الموضوع على العراق والجزائر لتحديد موقفهما رسمياً من هذه القضية ولأن (عبد الناصر) و(الأتاسى) أبدوا ممانعتهم لدعوة العراق إلى هذه الوحدة.. إن السودان امتنع عن المشاركة في هذه الوحدة لأسباب داخلية.. وللعلم فقد يكون من التصرف إرسال وفد عراقى لليبيا لعرض موقف العراق رسميا في هذه الوحدة والسعى للجزائر لاتخاذ موقف مماثل.

وجاءت التعليمات لى أن أسافر لليبيا كوزير إعلام وأقابل (القذافى) كمبعوث خاص.. لكنى اعتذرت.. وقلت إنى لا أعتقد أنها مهمة ضرورية.. وطلبت إبلاغ الرئيس أن رأيي أن هذه المهمة ليست ضرورية وأنا ضد القيام بها.. لأسباب شرحتها ولكنى كنت خائفا أن يكون الشرح غير مفهوم فكتبت جوابا ل(جمال عبد الناصر) شرحت له فيه أسبابى وطلبت من مكتبه أن يبعثه.

وملخص الجواب أننى تلقيت توجيهكم بشأن الجواب والسفر لليبيا.. وإذا أذنتم لى فإننى أريد أعرض النقاط التالية على أن أناقشها لحين عودتكم من السفر.. وكانت وجهت نظرى أن هناك مسألة مهمة في علاقتنا لكل الناس خاصةً الليبيين في ذلك الوقت.. وأنا رأى أن أفضلية التعامل عن بعد بمنتهى المودة.. وبمنتهى التعارف لابد أن نكون مهتمين ومن على مسافة بمعنى أنه ليس لنا أن نتصرف بناء على برقية ملتقطة باللاسلكى.. والشيء الآخر أنه يبدو أن ثمة مشكلات بدأت تظهر بين مجلس قيادة الثورة في ليبيا.. ربما بحكم الطبيعة البشرية.. وأنا لا أريد الدخول في هذه المشكلات.

وقال لى الرئيس: لقد قرأت جوابك وأنا أعتب عليك لأن القاعدة في الجيش نفذ ثم تظلم.. بينما كنت أرى أنه لا فائدة من التنفيذ ثم التظلم بعد ذلك. وأنا أحكى هذه الواقعة لكى أبين إلى أى مدى كان هذا الرجل - على عكس ما يقال- كان مستعدا للنقاش والخلاف معه.. ولم يكن عصبيا كما يقال ويأمر ويطاع ويشير ويهرع كل البشر لتنفيذ إشارته.

وقال (عبد الناصر): أنا أعرف أنك لا تستطيع أن تنفذ وبعدها تتظلم.. لكن هناك قضية أن تبدى كل الحجج.. وتترك لى القرار لكنك قررت أنك لن تسافر.. فقلت له: إنك معك حق ولكن بالنسبة للزمن وجدت أن الثقة المتبادلة دفعتنى لهذا.. ولكن من ناحية المبدأ أعترف بأنك على حق.

وسألنى: هل غيرت رأيك في الليبيين.. قلت له إطلاقاً ولكن لى رأى في التعامل معهم.. فقال لى أنه أرسل لى أن هناك مؤتمرا لوزراء الإعلام وقلت لك أن تذهب للمطار تقابل وزير الإعلام الرائد الخولد الحميدى ولم تذهب.. فقلت له إننى اتفقت مع وزراء الإعلام أننا سنحذف من برنامجنا حكاية استقبال المطارات وقلت له إننى حينما قبلت أمرك بأن أكون وزيراً طلبت إعفائى من الحفلات والاستقبالات في المطارات لأنها مضيعة للوقت ولا لزوم لها.

وقال لى إنه لم يرد مناقشتى حول موضوع حدثنى فيه.. وهو موضوع بعثة الشرف المرافقة لـ(القذافى).. وكان (القذافى) سيأتى فى زيارة رسمية للقاهرة.. ووجدت يومها السيد صلاح الشاهد رئيس التشريفات فى الرئاسة يحدثنى أنه أصدر توجيهه بأن "معاليك والهانم" تكونان ضمن بعثة شرف مرافقة لـ(القذافى) والسيدة حرمه وقلت له إن هذه مهمة من المهام التى يمكن أن أقوم بها.

فقال لى إن هناك تعليمات فقلت له سأحدث (عبد الناصر) فقلت له يعنى أنا أقبل بعثة الشرف.. وأنا فى الحقيقة سأجدها بشكل ما بالنسبة لصحفي صعبة.. وقلت له إنك حدثتنى وقتها بعدها بربع ساعة.. وقلت لى إننى لم أرض وتحدث مع حسين الشافعى.. والذي انزعج جداً.. ولما وجدت التصرفات متلاحقة ولم ترد استقبال وزير وبعثة الشرف.. و(القذافى) وموضوع المحيشى.. فقال لى إنه تصور أننى غيرت رأيى فقلت له إطلاقاً لكننى أقلق من أسلوب المجاملة الزائدة عن الحد.. وأتصور بمنطقٍ ما أن هؤلاء الشباب الثوار فى ليبيا اكتشفوا أن بلدهم غنية جداً.. وأن العالم العربى كله يجرى نحوهم متصوراً أنه أصبح لها حكومة محصنة.. وأنها وحدها كافية أن تتكلم.. وأن تفرض.. وأن تملى بعض القرارات. وهذا وضع يقلقنى جداً.

وقلت له إننى أرى الصراع العالمى وأرى التسابق نحو ليبيا.. وأظن أننا تحت أى ظرف من الظروف لا بد أن يكون لنا موقف واضح وموقف صريح لأنها بلد مجاورة لنا.. وعلى عمق طبيعى واستراتيجى موجود معنا.. وأن ثورة هذه البلد ومقدراته بدت بدرجة واضحة.. ولابد أن نعطيها فرصة أن تجرب لكى تكتشف أخطاءها بالخبرة.. أننا لا نستطيع أن نجرى نحو الآخرين.. ولا نستطيع أن ندخل فى سباق نحوهم.. وأن التاريخ معنا.. والحقائق الجغرافية معنا.. وعلى هذا الأساس كنت أخاف من هذه الأشياء.. وبعد ذلك زادت المخاوف على العالم العربى فى مواقع الثورة.. وأصبحت مراكز قوة لدرجة أن أول وفد مصرى ذهب فى القدس.. باع الإسرائيليون لنا زجاجات فارغة مختومة على أنها هواء معبأ من الأرض المقدسة.. فقلت لبعض إخواننا إننى أخاف من زيادة الحكمة عندنا.. ومنابعه تنهمر فى كل مكان.. أننا قد نجد مناسباً أن نصدر ونبيع للآخرين حكمة معبأة فى زجاجات مثل زجاجات الهواء المقدس التى باعها الإسرائيليون.

❖❖❖